International Journal of Cultural and Religious Studies
المجلة الدولية للدراسات الثقافية والدينية
ISSN: 2752-9894
DOI: 10.32996/ijcrs
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/ijcrs

وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم للشباب في شأن العفة في الصحيحين

مولوي عبد الجليل مظلوميار - أستاذ بقسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة بغلان افغانستان.

تاريخ استلام البحث: 2026/07/1	تاريخ نشر البحث: 2026/08/03	المجلد: 6	العدد: 3

تتناول هذه الدراسة موضوع عفة الشباب وصيانة أعراضهم في ضوء صحيحي البخاري ومسلم، وتهدف أساسًا إلى دراسة الوصايا والتوجيهات النبوية التي أرشد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي تؤدي دورًا أساسيًا في إصلاح أخلاق الشباب، والمحافظة على عفتهم، وبناء مجتمع سليم. وقد تناولت هذه المقالة التعريف بالعفة لغةً واصطلاحًا، وأهمية العفة في نظر الإسلام، والموضوعات المتعلقة بالوصايا النبوية للشباب، ومنها: غض البصر، وحفظ اللسان والعينين، ومبادئ الحياء والحجاب، والنهي عن الزنا، والحث على النكاح، وذلك في إطار بحث علمي. كما تم تحليل دور العبادة والتقوى، والصحبة الصالحة، والبيئة الاجتماعية السليمة في المحافظة على العفة. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واستفادت من مصادر حديثية وتفسيرية وفقهية معتبرة. وتوصلت الدراسة إلى أن وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل منهجًا جامعًا وعمليًا لتربية الجيل الشاب تربية أخلاقية، وأن تطبيقها لا يؤدي إلى إصلاح الفرد فحسب، بل يسهم كذلك في حماية المجتمع من الفساد الأخلاقي.

الكلمات المفتاحية: الشباب، العفة، الصحيحان، الوصايا النبوية، الحياء، النكاح، الأخلاق الإسلامية..

The Prophetic Counsel on Youth Chastity in Sahih al-Bukhari and Sahih Muslim

Mawlawi Abdul Jalil Mazloomyar- Lecturer, Department of Islamic Culture, Faculty of Sharia, Baghlan University, Afghanistan

Corresponding Author: Mawlawi Abdul Jalil Mazloomyar, **E-mail**: abdujilmazlomyar@dmail.com.

RECIEVED: 1 July 2026 **PUBLISHED:** 03 August 2026 **DOI:** 10.32996/ijcrs2026.6.3.3

Abstract
This study examines the concepts of youth chastity and modesty in the light of Sahih al-Bukhari and Sahih Muslim. The primary objective of the research is to analyze the prophetic testaments and guidance of Prophet Muhammad (peace be upon him), which play a foundational role in the moral rectification of youth, the preservation of chastity, and the development of a healthy society. This paper provides an academic discussion on the lexical and terminological definitions of chastity (Iffah), its significance from the Islamic perspective, and prophetic counsels tailored for the youth. These counsels encompass lowering the gaze, guarding the tongue and eyes, the principles of modesty (Haya) and hijab, the prohibition of adultery (Zina), and the encouragement of marriage (Nikah). Furthermore, the roles of worship, piety (Taqwa), righteous companionship, and a wholesome social environment in preserving chastity are thoroughly analyzed. Adopting a descriptive-analytical method, this study utilizes authoritative Hadith collections, exegeses (Tafsir), and jurisprudential (Fiqh) sources. The findings indicate that the prophetic testaments offer a comprehensive and practical guide for the moral upbringing of the younger generation. Implementing these teachings not only rectifies the individual but also safeguards society from moral corruption.

Keywords: Youth, Chastity, Sahihayn, Prophetic Testaments, Modesty (Haya), Marriage (Nikah), Islamic Ethics.

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الإسلام قدّم منهجًا متكاملًا وشاملًا لإصلاح فطرة الإنسان وأخلاقه ونظامه الاجتماعي، ومن أهم أسس هذا الإصلاح: العفة وصيانة النفس. فالعفة مظهر من مظاهر إيمان الإنسان وحيائه وحسن أخلاقه، وهي تسهم في بناء شخصية الفرد، واستقرار الأسرة، وسلامة المجتمع.

وتُعدّ مرحلة الشباب من أكثر مراحل حياة الإنسان حساسية وتأثيرًا؛ إذ تكثر فيها الشهوات، والنزعات النفسية، ومختلف الفتن. ولذلك وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشباب بتوجيهات خاصة تتعلق بالعفة، وصيانة النفس، وضبط الشهوات.

وفي العصر الحاضر، حيث كثرت أسباب الفحش والانحراف الأخلاقي والعلاقات غير المشروعة، ازدادت أهمية موضوع عفة الشباب وصيانة أنفسهم. كما أن انتشار وسائل الإعلام، وضعف الالتزام بالأخلاق الإسلامية، ووجود البيئات غير السليمة، قد أدّى إلى ابتعاد كثير من الشباب المسلمين عن المسار الديني الصحيح.

وتسعى هذه المقالة إلى جمع وتحليل أهم وصايا الرسول الله صلى الله عليه وسلم المتعلقة بعفة الشباب كما وردت في الصحيحين، من أجل بيان المنهج الإسلامي في المحافظة على العفة وصيانة النفس للجيل الشبابي المعاصر.

مشكلة البحث

يُوصف عصرنا الحاضر بأنه عصر الفتن والانحرافات الأخلاقية، فقد أصبح كثير من الشباب ضحيةً للبيئات غير السليمة، وضعف الوعي الديني، وعدم المعرفة الكافية بالتوجيهات النبوية.

ويظن بعض الناس أن الإسلام لا يقدم حلولًا واضحة وعملية للاحتياجات النفسية والأخلاقية للشباب، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم توجيهات ووصايا مهمة تتعلق بعفة الشباب وأخلاقهم وحياتهم السليمة. ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى استقراء الوصايا النبوية الواردة في شأن عفة الشباب وصيانة أنفسهم، لبيان رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشفقته وحرصه على الخير لأمته.

أهداف البحث

أولًا: الأهداف الرئيسة

1. جمع ودراسة وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم الواردة في شأن عفة الشباب وصيانة أنفسهم.

2. بيان الآثار التربوية والأخلاقية والاجتماعية للتوجيهات النبوية.

3. بيان قيمة العفة وأهميتها في إصلاح المجتمع الإسلامي وإيجاد بيئة سليمة.

ثانيًا: الأهداف الفرعية

1. تقديم السبل والوسائل التي تساعد الجيل الشاب على اتباع حياة سليمة، طاهرة، قائمة على المبادئ الإسلامية.

2. بيان رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشفقته ونصحه لأمته، بما يعزز في قلوب المؤمنين المحبة الصادقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

3. إبراز فاعلية وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته، وتقديم مقترحات علمية وعملية لتطبيقها في ضوء احتياجات المجتمع المعاصر.

أسئلة البحث

1. ما الهدف الأساسي من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم المتعلقة بعفة الشباب؟

2. ما الأصول الشرعية التي تقوم عليها هذه الوصايا؟

3. ما أثر تطبيق هذه الوصايا في أخلاق المجتمع ونظامه العام؟

4. ما قيمة هذه التوجيهات النبوية وأهميتها للجيل الشاب المعاصر؟

الدراسات السابقة

من أعظم نعم الله تعالى على الأمة الإسلامية أنه هيّأ لها، عبر العصور، من يتصدى لمشكلاتها وقضاياها بالبحث والتأليف، ولا تكاد توجد قضية ذات صلة بحياة المسلمين إلا وقد تناولها العلماء والباحثون بالبحث والدراسة، ومن ذلك ما أُلِّف في موضوع العفة، ومن أبرز هذه المؤلفات:

1. معالم على طريق العفة، للدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الوطبان، تاريخ النشر: 28 جمادى الأولى 1432هـ.

2. عندما ينتحر العفاف، لفضيلة الشيخ سعيد بن مسفر القحطاني.

3. كما أفرد الإمام النووي رحمه الله في كتابه رياض الصالحين أبوابًا تتعلق بالعفة والأخلاق، منها: باب الحياء، وباب غض البصر، وباب حفظ الفرج، وهو: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ).

ومع ذلك، لم أقف ـ في حدود ما اطلعت عليه ـ على دراسة وافيا تناولت موضوع «وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم للشباب في شأن العفة في الصحيحين» بهذا العنوان.

منهج البحث

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث جُمعت الأحاديث المتعلقة بموضوع البحث من صحيحي البخاري ومسلم، ثم جرى تحليلها وشرحها في ضوء المصادر الحديثية والفقهية المعتبرة.

كما استفادت الدراسة من آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال العلماء، بهدف عرض الموضوع عرضًا علميًا موثقًا ومستندًا إلى الأدلة الشرعية المعتبرة.

المبحث الأول: التعريف بالعفة

المطلب الأول: التعريف اللغوي للعفة

العِفَّة في اللغة تعني كفَّ النفس وصيانتها عن المحرَّمات والامتناع عمّا لا يحلّ للإنسان. قال ابن منظور رحمه الله: «العِفَّةُ: الكَفُّ عَمَّا لَا يَحِلُّ»[1].، أي: أن العفة هي الامتناع عن الأشياء التي لا تحلّ.

وجاء في مختار الصحاح بمعنى قريب: «عَفَّ عن الحرام يَعِفُّ بالكسر عِفَّةً وعَفًّا وعَفَافَةً، أي كَفَّ»، أي: الامتناع عن المحرّمات.[2]

وقال ابن فارس: «العِفَّة: الكفُّ عمّا لا ينبغي»[3]، أي: منع النفس عن الأفعال غير اللائقة وغير المشروعة.

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للعفة

عرّف العلامة الجرجاني العفة بقوله: «العِفَّةُ: هيئةٌ للقوة الشهوية متوسطةٌ بين الفجور، الذي هو إفراط هذه القوة، والخمود، الذي هو تفريطها، فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة»[4].

ومعنى ذلك أن العفة هي حالة من الاعتدال والتوازن في القوة الشهوانية، تقع بين الإفراط والتفريط؛ فالإفراط فيها يؤدي إلى الفجور والانحراف، والتفريط فيها يؤدي إلى الخمود وتعطيل ما أباحه الشرع. وعليه، فإن العفيف هو من ينظّم رغباته وتصرفاته وفق أحكام الشريعة الإسلامية والقيم الأخلاقية والمروءة.

المطلب الثالث: العفة في نظر الإسلام

يُعَدُّ العفاف في الإسلام من أعظم الفضائل الأخلاقية التي يتحلّى بها الإنسان، وقد أمر الله تعالى به في كتابه الكريم، فقال:

(وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) [النور: 33].

ومعنى الآية: أن الذين لا يجدون القدرة والاستطاعة على الزواج، عليهم أن يتحلّوا بالعفة، وأن يصونوا أنفسهم عن المحرّمات والطرق غير المشروعة، حتى يغنيهم الله تعالى من فضله، ويهيّئ لهم أسباب الزواج الحلال.

---

[1] لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711هـ) فصل العين المهمله ٩/ ٢٥٣)

[2] مختار الصحاح باب العين: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي

الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة طبعة جديدة، 1415 – 1995) ١/ ٤٦٧)

[3] معجم مقاييس الغة : أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا

المحقق : عبد السَّلام محمد هَارُون الناشر : اتحاد الكتاب العرب الطبعة : 1423 هـ = 2002م. ٤/ ٢)

[4] كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)

المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشرالناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان

الطبعة: الأولى 1403هـ-1983م ١/ ١٥١)

وفي شأن العفة وصيانة النفس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ بِهِ حَاجَةٌ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُهُ: ائْتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْأَلْهُ، فَأَتَاهُ وَهُوَ يَخْطُبُ، وَهُوَ يَقُولُ: «مَنِ اسْتَعَفَّ أَعَفَّهُ اللَّهُ، وَمَنِ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ سَأَلَنَا فَوَجَدْنَا لَهُ أَعْطَيْنَاهُ». قَالَ: فَذَهَبَ وَلَمْ يَسْأَلْ. **[5]**

ومعنى الحديث: عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار في حاجة، فقال له أهله: اذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاسأله، فجاء إليه وهو يخطب، فسمعه يقول: «من يستعفف يعفّه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يسألنا نعطه إن وجدنا عندنا شيئًا». قال الراوي: فذهب الرجل ولم يسأل.

وخلاصة القول: إن الإسلام يعدّ العفة من أعظم الفضائل الأخلاقية، فهي علامة ظاهرة على الإيمان والحياء والتقوى، وتحفظ الإنسان من الفحشاء وقلة الحياء والعلاقات المحرمة، وتوجّهه نحو الحياة الطيبة والعزّة والكرامة والمكانة الاجتماعية. وقد أمر الإسلام المسلم بصيانة بصره ولسانه وقلبه ونفسه، حتى يبقى الفرد والمجتمع معًا محفوظين من الفساد الأخلاقي.

المبحث الثاني: الوصايا النبوية للشباب

المطلب الأول: غض البصر

لقد أنعم الله تعالى على الإنسان بنعمة البصر، وهي من أعظم نعمه عليه، غير أن استعمال هذه النعمة في غير ما أباحه الله تعالى قد يكون سببًا لكثير من الفتن والفساد؛ ولذلك أمر الله تعالى المؤمنين بغض البصر، فقال سبحانه:

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) [النور: 30].

ومعنى الآية: قل ـ يا محمد صلى الله عليه وسلم ـ للمؤمنين أن يغضّوا أبصارهم عن النظر إلى ما لا يحل لهم، وأن يحفظوا فروجهم عن المحرمات؛ فإن ذلك أزكى لهم وأطهر، والله تعالى خبير بما يعملون. (تفسير كابلي، سورة النور، ص 307).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: إن هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين بأن يغضّوا أبصارهم عن المحرمات، وألا ينظروا إلا إلى ما أباح الله تعالى لهم النظر إليه، فإذا وقع بصرهم على شيء من المحرمات من غير قصد، فعليهم أن يصرفوا أبصارهم عنه، وألا يتبعوا النظرة الأولى بنظرة ثانية.[6].

وفي هذا المعنى روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال:سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفَجْأَةِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي»[7].

ومعناه: أن جرير بن عبد الله رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النظر المفاجئ الذي يقع بصر الإنسان فيه على ما لا يحل له النظر إليه، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يصرف بصره عنه.

ويتضح معنى صرف البصر بصورة أكثر في الحديث الذي رواه الإمام أبو داود رحمه الله (المتوفى: 275هـ)، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسيدنا علي رضي الله عنه:

«يَا عَلِيُّ، لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ»[8].

---

[5] مسند أحمد بن حنبل.ج ۴ ص ۱۵۶۸) : أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني.(164، 241). المحقق: مكتب البحوث بجمعية المكنز الناشر: جمعية المكنز الإسلامي.الطبعة: الأولى، 1431هجرية، 2010 م.

[6] تفسير القرآن العظيم ۴۱/۴): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)المحقق: سامي بن محمد سلامةالناشر: دار طيبة للنشر والتوزيعالطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م عدد الأجزاء: 8

[7] صحيح مسلم] ۳/ ۱۶۹۹) : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوريالناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروتتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي عدد الأجزاء : 5

[8] سنن أبي داود ۳/ ۴۸۱): أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللليالناشر: دار الرسالة العالمية

الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 معدد الأجزاء: 7

باب مايومر به من غض البصر رقم الحديث ۲۱۴۹) محقق دكتاب علامه ارنووط وايى چې حديث حسن دي

أي: يا علي، لا تتبع النظرة الأولى بنظرة ثانية؛ لأن النظرة الأولى التي تقع من غير قصد معفوّ عنها، أما النظرة الثانية فليست لك ولا تجوز لك.

وعليه، ينبغي للمؤمن المسلم أن يبتعد عن الأماكن والأحوال التي تكثر فيها أسباب الفتنة بالنظر، وأن يتخذ من غض البصر وسيلة لحماية عفته وصيانة أخلاقه.

وقد روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ». فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا». قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ[9]..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والجلوس في الطرقات». فقال الصحابة رضي الله عنهم: لا غنى لنا عن ذلك، فهي مجالسنا التي نتحدث فيها. فقال صلى الله عليه وسلم: «فإذا أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقه». قالوا: وما حق الطريق؟ قال صلى الله عليه وسلم: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر».

وفي هذا الحديث عناية واضحة بغض البصر، إلى جانب مراعاة الآداب الاجتماعية وحفظ حقوق الآخرين، مما يدل على أن العفة ليست أمرًا فرديًا فحسب، بل لها أثر في صلاح المجتمع وسلامة العلاقات بين أفراده.

وتتضح أهمية غض البصر أيضًا من كونه من أهم أسباب الوقاية من كثير من الذنوب؛ إذ قد يكون النظر بدايةً للتدرج في المعصية والانحراف. وقد روى الإمام الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«إِنَّ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ، مَنْ تَرَكَهَا مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ»[10].

ومعناه: أن النظرة المحرمة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها خوفًا من الله تعالى، عوّضه الله تعالى عنها إيمانًا يجد حلاوته في قلبه.

المطلب الثاني: حفظ اللسان والفرج، وأثره في حفظ العفة

اللسان، وإن كان عضوًا صغيرًا من أعضاء الإنسان، فإن آثاره ونفعه وضرره عظيمة؛ فالإنسان يستطيع بلسانه أن يسلك طريق الخير كما يستطيع أن يسلك طريق الشر. ولذلك أولى الإسلام حفظ اللسان عنايةً خاصة، وحذّر من إطلاقه فيما لا يرضي الله تعالى. وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله:

احفظ لسانَك أيها الإنسانُ

لا يلدغنَّك إنَّه ثعبانُ

كم في المقابر من قتيلِ لسانِه

قد كان يهاب لقاءَه الأقرانُ [11]

ومعنى ذلك: احفظ لسانك أيها الإنسان، لئلا يؤذيك ويهلكك؛ فإن اللسان كالثعبان في خطره. وكم من إنسان قُتل أو هلك بسبب لسانه، مع أنه كان ممن يهابه أقرانه ويخافون مواجهته.

وفي هذه الأبيات إشارة إلى خطورة اللسان، وقد شُبّه بالثعبان لما قد يترتب على سوء استعماله من أضرار وعواقب وخيمة.

ومما يدل على أهمية حفظ اللسان أن كل كلمة ينطق بها الإنسان تُكتب وتُسجّل، قال الله تعالى:(مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق: 18].

ومعنى الآية: ما يتلفظ الإنسان بكلمة إلا وعنده ملك رقيب حاضر يكتبها ويسجلها.

وقد جعل الله تعالى حفظ الفروج من صفات المؤمنين الفائزين، فقال سبحانه:

---

[9] صحيح البخاري ٣/ ١٣٢) : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفيالمحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)الطبعة: الأولى، 1422هعدد الأجزاء: 9

[10] المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة: الثانية عدد الأجزاء:25 (١٠/ ١٧٣)

[11] مناقب الشافعي للبيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (384 - 458 هـ) ج ٢ ص٨٧)

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) [المؤمنون: 1].

ثم قال سبحانه في بيان صفاتهم:

(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) [المؤمنون: 5-7].

ومعنى الآيات: أن المؤمنين يحفظون فروجهم عن المحرمات، ولا يستعملونها إلا في الطرق التي أباحها الله تعالى، وهي الزواج الشرعي، وما كان داخلًا في حكم ملك اليمين في النظام الشرعي الذي كان قائمًا في ذلك العصر. فمن طلب إشباع شهوته بغير هذه الطرق المشروعة، فقد تجاوز حدود الله تعالى.

وقال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في تفسير هذه الآيات: إن الذين يطلبون قضاء شهوتهم بغير الزوجات وملك اليمين هم المتجاوزون للحدود.[12]

وقد روى الإمام البخاري رحمه الله حديثًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل حفظ اللسان والفرج، وبيّن فيه عظيم ثواب المحافظة عليهما، فقال صلى الله عليه وسلم:

«مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»[13].

أي: من يضمن لي حفظ ما بين لحييه، وهو اللسان، وما بين رجليه، وهو الفرج، أضمن له الجنة. وهذا يدل على أن حفظ اللسان والفرج من أعظم أسباب دخول الجنة، ولا توجد فائدة أعظم من أن يضمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبد دخول الجنة.

ومن هنا يتبين أن النظر إلى النساء الأجنبيات ليس أمرًا هيّنًا أو بسيطًا، بل قد يكون من أسباب الوقوع في الفاحشة؛ ولذلك سمّاه النبي صلى الله عليه وسلم زنا العين. فقد روى الإمام مسلم رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ»[14].

أي: زنا العين هو النظر المحرم.

ولخطورة فتنة النظر، وردت نصوص كثيرة في التحذير منه وغض البصر. وقد نقل الإمام ابن كثير رحمه الله عن جماعة من السلف أنهم كانوا ينهون عن إدامة النظر إلى الشاب الأمرد إذا كان جميل الصورة ويُخشى منه حصول الفتنة، فقال:

«وقد قال كثير من السلف: إنهم كانوا ينهون أن يحدَّ الرجل بصره إلى الأمرد...».

كما شدّد كثير من أهل العلم وبعض أئمة التصوف في هذه المسألة، ومنعوا من ذلك خوفًا من الفتنة وما قد يترتب عليه من إثارة الشهوة والانحراف الأخلاقي.

وعليه يتضح أن الإسلام لم يقتصر في المحافظة على العفة وصيانة النفس على الأمر بغض البصر عن النساء الأجنبيات فحسب، بل نهى كذلك عن كل ما يمكن أن يكون وسيلة إلى الفتنة وإثارة الشهوة والفساد الأخلاقي، وأرشد المسلم إلى حفظ بصره ولسانه وفرجه، وصيانة نفسه عن كل ما يهدد عفته وطهارته.

المطلب الثالث: الحث على الحياء والحجاب

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى: إن الله تعالى أمر النساء المؤمنات بألا يتشبهن بنساء الجاهلية في سلوكهن وهيئتهن، وأن يلتزمن ما شرعه الله تعالى لهن من الحياء والستر.[15]

ورُوي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أن أسماء بنت مرشدة رضي الله عنها كانت في منطقة بني حارثة، وكانت النساء يدخلن عليها، وهنّ لا يلتزمن اللباس المناسب؛ فكانت تظهر منهن الخلاخل والصدور وبعض أجزاء الشعر. وفي هذا السياق نزل قول الله تعالى:

(وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ...) [النور: 31]. :[16]

ومعنى الآية: وقل للمؤمنات أن يغضضن أبصارهن عن المحرمات، ويحفظن فروجهن، ولا يُظهرن زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها بغير قصد، وليضربن بخمرهن على جيوبهن، ولا يُظهرن زينتهن إلا لأزواجهن، أو آبائهن، أو آباء أزواجهن، أو أبنائهن، أو أبناء أزواجهن، أو إخوانهن، أو بني إخوانهن،

---

[12] زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ ٣/ ٢٢٦)

[13] صحيح البخاري ٨/ ١٠٠))

[14] صحيح مسلم ٨/ ٥٤)

[15] تفسير ابن كثير ٦/ ٤١)

[16] تفسير ابن كثير ج ١٠ ص ٢١٦)

أو بني أخواتهن، أو نسائهن، أو ما ملكت أيمانهن، أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال، أو الأطفال الذين لم يطلعوا على عورات النساء. ولا يضربن بأرجلهن ليُعلم ما يخفين من زينتهن، وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

وقال العلامة المفتي شبير أحمد العثماني رحمه الله في تفسير هذه الآية: لا يجوز للمرأة أن تُظهر زينتها الخَلْقية أو المكتسبة أمام الرجال الأجانب، إلا ما يتعذر عليها ستره بسبب الحاجة، فإنه يُعفى عنه عند عدم خشية الفتنة.[17]

وروى الإمام الترمذي رحمه الله حديثًا في هذا الباب، عن نبهان مولى أم سلمة، أنه حدّثه أن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة، قالت: فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه، وذلك بعد ما أُمرنا بالحجاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«احْتَجِبَا مِنْهُ».

فقلت: يا رسول الله، أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا؟ أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ؟»[18].

ومعنى الحديث أن أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما سألتا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحتجاب من ابن أم مكتوم رضي الله عنه، مع كونه أعمى، فأمرهما النبي صلى الله عليه وسلم بالاحتجاب، وبيّن أن العبرة ليست ببصر الرجل وحده، بل كذلك ببصر المرأة نفسها، وأنها مأمورة بمراعاة الحجاب والستر.

ويتضح من هذه الآية الكريمة، ومن توجيهات العلماء والأحاديث النبوية، أن الإسلام وضع للمرأة توجيهات خاصة تتعلق بالحياء والحجاب والعفة، حفاظًا على الطهارة الأخلاقية للفرد والمجتمع. كما أن المرأة مطالبة كذلك بغض بصرها عن الرجال الأجانب، والالتزام بآداب الحياء والحجاب، تحقيقًا للعفة وصيانةً للمجتمع من أسباب الفتنة والانحراف.

المطلب الرابع: النهي عن الاقتراب من الزنا

قال الله تعالى:

(وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) [الإسراء: 32].

ومعنى الآية: «ولا تقتربوا من الزنا؛ فإنه كان فاحشةً قبيحةً، وساء طريقًا ومسلكًا»

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: لم يقل الله تعالى: «ولا تزنوا»، وإنما قال: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ)، وفي هذا التعبير بلاغة عظيمة؛ لأن معناه أن الإنسان لا ينبغي له أن يقتصر على اجتناب الزنا نفسه، بل عليه أن يبتعد كذلك عن جميع أسبابه ووسائله والطرق المؤدية إليه.

ثم بيّن أن كلمة (سَبِيلًا) جاءت منصوبة على التمييز، والتقدير: «وساء سبيلُه سبيلًا»، أي: إن سبيل الزنا ومسلكه من أسوأ السبل والطرق.

ووُصف الزنا بأنه سبيل سيئ؛ لأنه يؤدي إلى العذاب الأخروي ودخول النار، ويضر بالأسس الأخلاقية للفرد والمجتمع، ويؤدي إلى اضطراب نظام الأسرة واختلاط الأنساب. وتزداد خطورته إذا وقع مع زوجة الجار؛ لأن مرتكب هذه الجريمة يجمع بين ارتكاب الفاحشة وانتهاك حق الجوار والاعتداء على حرمته.[19]

ومن هنا يتضح أن الإسلام لم يحرّم الزنا فحسب، بل نهى ـ حفاظًا على العفة وصيانةً للمجتمع ـ عن كل فعل أو وسيلة من شأنها أن تقرّب الإنسان من هذه الجريمة العظيمة أو تمهّد لها، كالنظر المحرم، والخلوة غير المشروعة، والتبرج، وغير ذلك من الأسباب التي تهيّئ للفتنة والفساد الأخلاقي.

المطلب الخامس: الحث على النكاح

جعلت الشريعة الإسلامية الحث على النكاح الحلال من أهم الوسائل والأسس للمحافظة على العفة وصيانة النفس، قال الله تعالى:

(وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [النور: 32].

---

[17] تفسير كابلي للعلامه شبير احمد عثماني : سورة النور ص ٣٠٧)

[18] سنن الترمذي ٥/ ١٠٢): محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصرالطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م عدد الأجزاء: 5 أجزاء

[19] تفسير القرطبي الجامع لاحكام القران ج 10 ص 253)

ومعنى الآية: «زوّجوا ـ أيها الأولياء ـ من لا أزواج لهم من الرجال والنساء منكم، وكذلك الصالحين من عبيدكم وإمائكم، فإن كانوا فقراء يغنهم الله تعالى من فضله، والله واسع الفضل عليم بأحوال عباده».

وقال العلامة السيوطي رحمه الله في تفسيره: إن «الأيامى» جمع «أَيِّم»، وهو من لا زوج له من الرجال أو النساء.[20]

وفي المجتمع الإسلامي لا يُنظر إلى بقاء الشاب أو الشابة بلا زواج على أنه الحالة المثلى، ولذلك جعلت الشريعة الزواج وسيلة أساسية لتحقيق الاستقرار الاجتماعي والمحافظة على الطهارة الأخلاقية؛ لأن الزواج الحلال يحفظ الإنسان من كثير من الانحرافات الأخلاقية، ويصونه من الوقوع في الحرام وسوء الظن.

وقال الله تعالى في بيان العلاقة بين الزوجين:(هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) [البقرة: 187].

ومعنى الآية: «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن».

وبيّن العلامة ثناء الله رحمه الله في تفسيره وجه تشبيه الزوجين باللباس، فقال: إن هذا التشبيه يدل على أن كلًّا من الزوجين سبب لستر الآخر وحمايته، ومصدر للسكون والطمأنينة له. كما أن إباحة اجتماع الزوجين في الليل تدل على أن من حكم الزواج إشباع الحاجات الطبيعية للزوجين بالطريق الحلال المشروع.[21]

وبيّن الإمام الطبري رحمه الله أيضًا عددًا من الحكم في تشبيه الزوجين باللباس، ومنها أن اللباس سبب لراحة الإنسان وسكونه وستر بدنه، وكذلك يكون كل واحد من الزوجين سببًا لراحة الآخر وسكونه وستر عيوبه.[22]

وبناءً على ذلك يتضح أن النكاح ليس مجرد عقد أو رابطة اجتماعية، بل هو وسيلة أساسية للمحافظة على العفة، وتزكية النفس، وإشباع الغرائز في إطار مشروع، وبناء أسرة مستقرة ومجتمع سليم قائم على القيم والأخلاق الإسلامية.

المبحث الثالث: الأحاديث الواردة في الصحيحين ذات الصلة بالموضوع

المطلب الأول: إيراد الأحاديث

تُعدّ الضروريات الخمس من أهم المقاصد التي تقوم عليها حياة الإنسان ويحفظ بها نظام الشريعة، وهي: حفظ الدين، والعقل، والنفس، والنسل، والمال. ويكتسب حفظ النسل أهمية خاصة، ولا يتحقق ذلك إلا بصيانة المجتمع من أسباب الفساد الأخلاقي، ومن أهم وسائل ذلك محافظة الشباب على العفة والطهارة. ولذلك جعلت الشريعة الزواج الشرعي وسيلة أساسية لحفظ العفة والنسل، وحثّت عليه.

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما رواه الإمامان البخاري ومسلم رحمهما الله عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ»[23].

ومعنى الحديث: أن الناس يتزوجون المرأة لأربعة أمور: مالها، ونسبها، وجمالها، ودينها، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد إلى تقديم ذات الدين، لما في ذلك من خير الدنيا والآخرة. وجملة «تَرِبَتْ يَدَاكَ» وردت على سبيل الحث والترغيب، لا على معنى الدعاء الحقيقي.[24]

ويتضح من الحديث أن الإسلام لم يكتفِ بالحث على الزواج، بل أرشد إلى اختيار الزوجة الصالحة ذات الدين؛ لما لذلك من أثر في استقرار الحياة الزوجية وصيانة العفة وتكوين الأسرة الصالحة.

وفي هذا المعنى روى علقمة بن قيس رحمه الله فقال:

---

[20] تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)الناشر: دار الحديث – القاهرة الطبعة: الأولى ج ١ ص ٤٦١)

[21] التفسير المظهري ج 1 ص203): المظهري، محمد ثناء الله المحقق: غلام نبي التونسي الناشر: مكتبة الرشدية – الباكستان الطبعة: 1412 هـ

[22] جامع البيان في تأويل القرآن: ٣/ ٤٩١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م عدد الأجزاء: 24

[23] نفس مصدر ٧/ ٧) او صحيح مسلم ٢/ ١٠٨٦)

[24] كمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض ج ٢/ ٨٠) : العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي 544 هـ عدد الأجزاء / 8

«كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ بِمِنًى، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَخَلَيَا، فَقَالَ عُثْمَانُ: هَلْ لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي أَنْ نُزَوِّجَكَ بِكْرًا تُذَكِّرُكَ مَا كُنْتَ تَعْهَدُ؟ فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ أَنْ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى هَذَا، أَشَارَ إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا عَلْقَمَةُ. فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَمَا لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، لَقَدْ قَالَ لَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[25].

ومعنى الحديث: أن علقمة رحمه الله كان مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فلقيه عثمان رضي الله عنه بمنى، وعرض عليه الزواج، ثم ذكّره عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بوصية النبي صلى الله عليه وسلم للشباب، فقال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء».

وفي هذا الحديث توجيه نبوي واضح للشباب إلى الزواج عند القدرة عليه، لما له من أثر في غض البصر وحفظ الفرج وصيانة العفة، فإن لم تتوافر القدرة على الزواج، أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصيام؛ لما فيه من تهذيب النفس وتقليل دواعي الشهوة.

وبذلك يتبين أن السنة النبوية قدمت للشباب منهجًا عمليًا متكاملًا لحفظ العفة، يقوم على الزواج عند الاستطاعة، وعلى الصيام وضبط النفس عند عدم القدرة عليه، بما يحفظ الفرد والمجتمع من أسباب الانحراف الأخلاقي.

المطلب الثاني: شرح الحديث والاستنباطات الفقهية

قول علقمة بن قيس رحمه الله: «كنت مع عبد الله»، المراد بعبد الله هنا هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وقد نقل العلامة العيني رحمه الله بعض الأقوال التي حملت المراد على عبد الله بن عمر رضي الله عنه، لكونه مشهورًا بكنيته أبي عبد الرحمن، إلا أن هذا القول غير راجح؛ لأن سياق الرواية وقرائنها تدل على أن المقصود هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. كما أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان قد تجاوز الثلاثين من عمره في خلافة عثمان رضي الله عنه، فلا يصح حمل الحديث على كونه شابًا في ذلك الوقت.

وقوله: «فَخَلَيَا»، أي انفرد عثمان وعبد الله رضي الله عنهما في مكان ليس فيه أحد؛ وذلك ليتمكنا من الحديث في جو من الطمأنينة والخصوصية.

وقوله: «تُذَكِّرُكَ مَا كُنْتَ تَعْهَدُ»، أي: تذكّرك بعض ما كنت تعهده من أحوال الشباب ومشاعره الطبيعية، وكان عرض عثمان رضي الله عنه للزواج مقصوده إعانة عبد الله رضي الله عنه على الاستقرار والعفة.

وقوله: «فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ...»، ذكر العلماء في إعرابه وجهين؛ فعلى الرفع يكون المعنى أن عبد الله رضي الله عنه أدرك حال نفسه، وعلى النصب يكون المعنى أنه أدرك حال المخاطَب، ولا يترتب على اختلاف الإعراب اختلاف في المقصود العام من الرواية.

وقوله: «أَشَارَ إِلَيَّ»، نقل العلامة العيني رحمه الله عن الكرماني أن الذي أشار إلى علقمة هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقيل: بل الذي أشار إليه هو عثمان رضي الله عنه، وكلا الوجهين محتمل من حيث السياق.[26]

وجاء في رواية الإمام مسلم رحمه الله ما يوضح عرض عثمان رضي الله عنه، فقال: «هَلْ لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي أَنْ نُزَوِّجَكَ بِكْرًا تُذَكِّرُكَ مَا كُنْتَ تَعْهَدُ؟»[27] ،

أي: هل ترغب في أن نزوّجك فتاةً شابةً تعيد إليك بعض ما عهدته من أحوال الشباب؟

ثم لما ذُكّر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بهذا الأمر، بيّن أن الأصل في علاج حاجة الشباب هو ما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:

«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ».

ومن أهم الاستنباطات الفقهية والتربوية من الحديث:

1. استحباب المبادرة إلى الزواج عند القدرة عليه؛ لما فيه من حفظ الفرج وغض البصر وصيانة العفة.

2. مشروعية توجيه الشباب إلى الزواج، ولا سيما عند ظهور الحاجة إليه؛ لأنه من أقوى الوسائل لحماية الشباب من الفتن والانحراف.

3. أن الزواج وسيلة لحفظ النسل وصيانة المجتمع، ولذلك جاءت الشريعة بالحث عليه وربطه بالعفة والطهارة.

4. أن من عجز عن الزواج يُشرع له الصيام؛ لما فيه من كسر حدة الشهوة وتهذيب النفس.

5. مراعاة الأحوال الطبيعية للشباب، فالشريعة لم تتجاهل الغريزة، وإنما وجهتها إلى الطريق المشروع.

---

[25] صحيح البخارى ج ٢ص ١٧٣)

[26] په شرح د حديث كې عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعلامة بد رالدرين العيني ج ٢/ ص ٦٧/ ٦٨) څخه استفاده شوي ده.

[27] صحيح مسلم ج٢/ ١٠١٨)

6. أن العلاج النبوي للعفة يجمع بين الوسائل الإيجابية والوقائية؛ فالزواج وسيلة إيجابية لإشباع الغريزة بالحلال، والصيام وسيلة وقائية لمن لم يقدر عليه.

وبذلك يتضح أن الحديث يقدم منهجًا نبويًا متوازنًا في حفظ عفة الشباب، قائمًا على فهم طبيعة الإنسان، وتوجيه غرائزه إلى الطريق المشروع، ومنع الأسباب المؤدية إلى الانحراف.

شرح حديث الشباب والحث على الزواج

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ».

ومعنى الحديث: «يا معشر الشباب، من كان منكم قادرًا على مؤونة الزواج فليتزوج؛ لأن الزواج أعون على غض البصر وحفظ الفرج، ومن لم يستطع الزواج فعليه بالصيام؛ فإنه يضعف الشهوة ويعين على ضبط النفس».

بيان الألفاظ والمعاني:

لفظ «الشباب» جمع «شاب»، وهو من بلغ سنّ البلوغ ودخل مرحلة الشباب التي تتميز بالقوة والنشاط. ونقل العلامة العيني رحمه الله عن الإمام النووي رحمه الله أن الشاب هو من كان بعد البلوغ في مرحلة الشباب. وذكر الإمام القرطبي رحمه الله تقسيم مراحل العمر، فجعل ما بعد البلوغ إلى نحو ست عشرة سنة «حدثًا»، ثم إلى نحو اثنتين وثلاثين سنة «شابًا»، ثم «كهلًا»، وبعد ذلك «شيخًا».

وخصّ النبي صلى الله عليه وسلم الشباب بالخطاب؛ لأن قوة الشهوة والدوافع الطبيعية تكون غالبًا أشد في هذه المرحلة، فتكون الحاجة إلى التوجيه والعفة أكبر. قال ابن شاس المالكي رحمه الله: إن تخصيص الشباب بالخطاب؛ لأن قوة الشهوة والرغبة تكون غالبة فيهم.

وأما «الباءة» فلها معانٍ لغوية متعددة، والمراد بها هنا القدرة على الزواج ومؤنته. ولها صلة بمعنى الاستقرار والسكن، ومن ذلك قوله تعالى:

(وَنَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) [الزمر: 74].

فالباءة من حيث أصلها اللغوي تدل على التبوؤ والاستقرار، وهو معنى مناسب للزواج؛ لما يحققه من السكن والمودة والاستقرار.

ونقل العلامة العيني رحمه الله عن بعض العلماء أن الزواج من الشابة قد يكون أولى لما فيه من مزيد الألفة واللطف وحسن المعاشرة؛ إذ تكون أقرب إلى الأنس بزوجها والتوافق معه، مما يعين على تحقيق السكن الأسري.

ومن أهم الاستنباطات الفقهية والتربوية من الحديث:

1. الحث على الزواج للشباب القادرين عليه، وهو من الوسائل المهمة لحفظ العفة.

2. مشروعية الصيام لمن لم يستطع الزواج؛ لما فيه من ضبط النفس وتقليل حدة الشهوة.

3. أن المحافظة على العفة ليست مجرد توجيه أخلاقي، بل هي من المطالب الشرعية.

4. أن الإسلام لا ينكر الغرائز الفطرية، وإنما يوجّهها إلى الطريق الحلال المشروع.

5. أن الوقاية من الفساد الأخلاقي في المجتمع تكون بتيسير الزواج، وتقوية التقوى، وتربية النفس على العفة.

المبحث الرابع: وسائل المحافظة على العفة

المطلب الأول: التربية الروحية والبيئة الاجتماعية

أولًا: التربية الروحية

التربية الروحية هي إصلاح باطن الإنسان وقلبه، بما يثمر فيه الخوف من الله تعالى، ومحبته، واستحضار الآخرة. فإذا صلح باطن الإنسان وطهر قلبه، كان ذلك أدعى إلى اجتناب المعاصي والابتعاد عن أسباب الفساد. قال الله تعالى:

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) [الشمس: 9].

أي: قد أفلح من زكّى نفسه وطهّرها من أدران المعاصي والأخلاق السيئة. ومن ثمّ فإن التربية الروحية تُعدّ ركنًا أساسيًا في حفظ العفة، وعلى المؤمن أن يجاهد نفسه ويعمل على إصلاح باطنه حتى تكون شهواته ودوافعه منضبطة بضوابط الشرع.

ثانيًا: البيئة الاجتماعية

يتأثر الإنسان ببيئته الاجتماعية تأثيرًا كبيرًا؛ فإذا كانت البيئة صالحة، قائمة على القيم الإسلامية والأخلاق الفاضلة، أعانت الإنسان على العفة والاستقامة. أما إذا كانت البيئة فاسدة، وانتشرت فيها مظاهر الفحش وقلة الحياء، فإن الإنسان قد يتأثر بها تدريجيًا وينخرط في سلوكياتها. ولذلك فإن إيجاد بيئة اجتماعية صالحة يُعدّ من الوسائل المهمة لحماية الشباب من الفتن والانحرافات الأخلاقية، وتعزيز قيم العفة والطهارة في المجتمع.

المطلب الثاني: اجتناب رفقاء السوء

يُعدّ اجتناب رفقاء السوء من الوسائل المهمة للمحافظة على العفة والطهارة؛ لأن الإنسان قد يرتكب بعض الأفعال التي تنفر منها فطرته السليمة بسبب تأثير أصحابه ومجالسته لهم. ولذلك حثّ النبي صلى الله عليه وسلم على حسن اختيار الصديق، فقال:

«الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»[28].

أي: أن الإنسان يتأثر بدين صاحبه وأخلاقه وسلوكه، فعليه أن يتأمل فيمن يصاحب ويخالل.

ومن هنا قيل: إن صلاح الإنسان وفساده يظهران من خلال أصحابه وقرنائه، فإن الصاحب الصالح يعين على الطاعة والاستقامة والعفة، بينما يدفع الصاحب السيئ إلى المعصية والانحراف.

وقال عدي بن زيد:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ

فَإِنَّ الْقَرِينَ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي [29]

أي: لا تسأل عن الرجل كثيرًا، بل انظر إلى قرينه وصديقه؛ فإن الإنسان يقتدي بمن يصاحبه ويتأثر به.

وقد قيل في المثل الفارسي:

«يارِ بد بدتر بود از مارِ بد

مار بد تنها تو را بر جان زند

يارِ بد بر جان و بر ايمان زند»

أي: الصديق السيئ أخطر من الحية؛ لأن الحية قد تؤذي بدن الإنسان، أما الصديق السيئ فيؤذي دينه وأخلاقه، وقد يكون خطره على إيمانه وسلوكه أعظم من خطر الأذى الجسدي.

وبيّن الله تعالى ندم من اتخذ رفيق السوء يوم القيامة، فقال:

(يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) [الفرقان: 28].

أي: «يا حسرتي، ليتني لم أتخذ فلانًا صديقًا وخليلًا».

وقال تعالى:

(الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) [الزخرف: 67].

أي: «يكون الأصدقاء يوم القيامة أعداء بعضهم لبعض، إلا المتقين».

وفي المقابل، فإن صحبة الصالحين ومخالطة أهل الخير سبب للسعادة والاستقامة؛ فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلين تحابّا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، يكونان في ظل عرش الله يوم القيامة.[30]

وهذا من أعظم فضائل الصحبة الصالحة، إذ قد تكون سببًا لبلوغ هذا المقام العظيم يوم القيامة.

المطلب الثالث: العبادة والتقوى

[28] النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي ج ٢/ ٧٢)

[29] مجمع الأمثال ج ٢/ ٢١٨) : أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: 518هـ) المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان عدد الأجزاء: 2

[30] صحيح البخاري ج ١ص ١٣٣)

من الوسائل المهمة للمحافظة على العفة العبادة والتقوى؛ فالعبادة تهذّب النفس وتعين على ضبط الشهوات، والتقوى تحجز الإنسان عن معصية الله تعالى. قال الله تعالى:

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) [العنكبوت: 45].

أي: إن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، وذكر الله أعظم ما يزكي النفس ويقوي صلتها به.

وقال العلامة شبير أحمد العثماني رحمه الله: إن الصلاة علاج روحي، إلا أن أثرها يظهر حين يلتزم الإنسان عمليًا بترك المعاصي، كما أن الدواء لا يظهر أثره إلا مع اجتناب ما يضرّ بالمريض من الأطعمة والعادات. .[31]

والتقوى صفة أساسية إذا استقرت في قلب الإنسان حملته على اجتناب المعاصي، حتى عند توافر أسبابها ودواعيها. ومن أوضح الأمثلة على ذلك قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، فتوسل كل واحد منهم إلى الله تعالى بعمل صالح، وكان من بينهم رجل راود ابنة عمه عن نفسها، فلما تمكن منها خاف الله تعالى، فامتنع عن الزنا، فكان تقواه سببًا من أسباب نجاته ونجاتهم.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة، يمكن القول إن المحافظة على العفة تُعدّ من أهم الأسس في بناء بيئة اجتماعية سليمة وصالحة، ولذلك أكّد رسول الله صلى الله عليه وسلم على العفة وصيانة النفس، وبيّن لأمته الوسائل والسبل التي تعين على حفظها والوقاية من أسباب الانحراف والفساد الأخلاقي.

أهم النتائج

تبيّن من خلال الدراسة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى عنايةً خاصةً بحفظ عفة الشباب وصيانة أخلاقهم.

اشتملت الصحيحان على جملة من الوصايا والتوجيهات النبوية المتعلقة بالعفة والحياء، وحفظ البصر، والنكاح، وضبط النفس والشهوات.

تبيّن أن المواظبة على العبادات، ولا سيما الصيام، تُعدّ وسيلة فعّالة في تهذيب النفس وضبط الشهوة وحمايتها من الانحراف.

للصُّحبة الصالحة والبيئة الاجتماعية السليمة أثرٌ بالغ في التربية الأخلاقية للشباب واستقامتهم.

تبيّن كذلك أن الفحش والتبرج والانحلال الأخلاقي، وسوء استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، من العوامل المهمة المؤدية إلى الانحراف الأخلاقي لدى الشباب.

تُعدّ النكاح في الشريعة الإسلامية من أفضل الوسائل المشروعة لحفظ العفة وصيانة النفس.

للتربية السليمة التي يقدمها الآباء والمعلمون دورٌ أساسي في بناء شخصية الشباب وتوجيههم توجيهًا صالحًا.

الحياء شعبة من شعب الإيمان، ومن أهم الأسباب المعينة على حفظ العفة وصيانة الأخلاق.

إن اتباع التعاليم النبوية لا يقتصر أثره على إصلاح الفرد، بل يسهم كذلك في بناء مجتمع سليم ومستقيم.

تقدم التوجيهات والإرشادات النبوية الواردة في الصحيحين منهجًا تربويًا متكاملًا صالحًا لتوجيه الشباب في مختلف العصور، بما يسهم في حفظ عفتهم واستقامة سلوكهم.

توصيات عملية للشباب

في ضوء ما توصلت إليه هذه الدراسة، يمكن تقديم التوصيات العملية الآتية، لما لها من أثر في المحافظة على عفة الشباب وحيائهم ونقائهم الأخلاقي:

1. ينبغي لعلماء المجتمع الإسلامي وخطبائه ودعاته أن يولوا عناية خاصة لنشر وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته المتعلقة بعفة الشباب وحيائهم وإصلاح أخلاقهم.

2. ينبغي للأسرة أن تضطلع بمسؤوليتها في التربية الدينية والأخلاقية للأبناء على الوجه الصحيح؛ إذ تُعدّ الأسرة الصالحة ركيزة أساسية في بناء المجتمع الصالح.

3. ينبغي للمؤسسات التعليمية والأكاديمية أن تنظم برامج وندوات وحلقات علمية خاصة بالتربية الفكرية والأخلاقية للشباب، بما يسهم في حمايتهم من الانحرافات الفكرية والسلوكية.

4. ينبغي للشباب أن يولوا عناية أكبر بتلاوة القرآن الكريم، ودراسة الأحاديث النبوية، والمواظبة على العبادات؛ لما للقوة الإيمانية والروحية من أثر مهم في تهذيب النفس وحفظ العفة.

[31] كابلى تفسير سورة العنكبوت ٤٥ ص ٥٦٥)

5. ينبغي توسيع برامج التوعية بمخاطر الاستخدام السيئ لوسائل التواصل الاجتماعي والتقنيات الحديثة، بما يساعد على حماية الشباب من الانحراف الأخلاقي والفكري.

6. ينبغي للمجتمع الإسلامي اتخاذ خطوات عملية لتيسير الزواج وتذليل العقبات أمام الشباب؛ لما للزواج من أهمية في حفظ العفة وصيانة الأخلاق وتحقيق الاستقرار الاجتماعي.

7. ينبغي للشباب الابتعاد عن رفقاء السوء والمجالس غير الصالحة وكل ما من شأنه إفساد الأخلاق وإضعاف العفة.

8. ينبغي إقامة برامج تربوية مستمرة في المساجد والمدارس والمؤسسات التعليمية لتعزيز الحياء والتقوى والأخلاق الإسلامية لدى الشباب.

9. ينبغي لوسائل الإعلام والمؤسسات الثقافية أن تتجنب نشر المحتويات التي تؤثر سلبًا في أخلاق الشباب، وأن تقدم بدلًا منها محتوى نافعًا وسليمًا يعزز القيم الإسلامية والأخلاق الفاضلة.

10. من الضروري أن ينظم الشباب حياتهم في ضوء هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته؛ فإن الالتزام بالتعاليم النبوية من أفضل السبل لإصلاح الفرد والمجتمع.

مأ خذونه

- القرآن الكريم

1. السيوطي: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ) الطبعة: الأولى تفسير الجلالين الناشر: دار الحديث – القاهرة
2. ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)الطبعة: الأولى - 1419 هـ تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المحقق: محمد حسين شمس الدينالناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت لبنان.
3. : المظهري، محمد ثناء الله الطبعة: 1412 ه المحقق: غلام نبي التونسي الناشر: مكتبة الرشدية - الباكستان
4. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسننه وأيامه) : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت 256 هـ)
5. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
6. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)
7. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت 275 هـ)
8. سنن الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت 279 هـ)
9. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206 - 261 هـ)
10. كابلي تفسير د علامه شبير احمد عثمانى رحمه الله((طبع مجمع خادم الحرمين الشريفين)) په دي کې طبع شوي دي.
11. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711هـ)
12. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت 360 هـ)
13. مناقب الشافعي للبيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (384 - 458 هـ)
14. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازيالناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة طبعة جديدة، 1415 – 1995
15. معجم مقاييس الغة : أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّاالمحقق : عبد السَّلام محمد هَارُون الناشر : اتحاد الكتاب العرب الطبعة : 1423 هـ = 2002م.
16. كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشرالناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م
17. مسند أحمد بن حنبل.: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني.(164، 241).المحقق: مكتب البحوث بجمعية المكنزالناشر: جمعية المكنز الإسلامي.الطبعة: الأولى، 1431هجرية، 2010 م.
18. مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: 518هـ) المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنانعدد الأجزاء: 2
19. النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـالناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي